عباس محمود العقاد (١)

« من العبقريين من تعرف مداه بكتاب واحد أو قصيدة واحدة ، ومنهم من يعطيك جزءا من عبقريته في كل جزء من كتاباته « وجيتي » من هؤلاء العبقريين الذين لا ينبيء قليلهم عن كثيرهم تلك أحدى الصعوبات التي تعوق عن التعريف بهذا العبقري . وهو يمشي بأثقل احماله وأخفها في خطو وئيد وقوام قويم »

هذا هو شاعر الالمان عند العقاد ... وعندي ان خير تشبيه لمن نتحدث عنه هو ذلك التعريف فعبقرية العقاد تطل عليك وتلحظها في كتبه ودراساته . والعقاد الناثر غير العقاد الشاعر وقد تفضل العقاد الناثر وأنت تقرأ فصلا من فصوله الممتعة حتى اذا أخذت في دراسة شعره حكمت بانه شاعر أحسن منه ناثراً وتقرأ العقاد السياسي فتتوهم انه موفق اكثر من العقاد الاديب . حتى اذا ما أخذت في قراءة أدبه تجزم بانه أديب اكثر منه كاتبا سياسيا . أنت واجد عبقرية العقاد في كل ما تقرأه ومن أقوى دلائل هذه العبقرية نسيانك ماضيه بحاضره

(١) احب ان اشير هنا الى ان هذه الدراسة قاصرة على ادب العقاد وسياسته قبل فصله من الوفد . أما رأيه الاخير وسياسته بعد فصله فليس هنا محل الحديث عن ذلك

فتعيش معه وتنسى الذى أخذته وهذا كما يقول مفكروا الغرب نهاية النبوغ فاذا قلنا ان كتبه وماحوته من الشعر والنثر والوطنيه في مقدمة الكتب القيمة أيمكننا بهذلك ان نستدل على عبقريته في كتاب واحد ؟؟ نعم .. ولا .. قد تحكم له فى هذا الكتاب أنه الناقد الحصيف ، ولكنك تحكم له فى أخر انه المؤرخ البصير ، وفى غيره انه الشاعر العظيم ، وأذن فلا سبيل لمعرفة العقاد الا من دراسته دراسة وافية والالمام بنواحيه المختلفة « والعقاد » السياسى بوجه خاص غير العقاد الاديب وذلك بشهادته هو حيث قال « اننى في السياسة ديمقرطى ولكننى فى الادب ارستقراطى الى حدود الارستقراطية » . وأملى ان أوفق فى سرد تاريخ مجمل لحياة هذا النابغه والأبانه عن وطنيته كما أرجو ان يسعدنى الحظ فأوفق الى التعليق على بعض قصائده وأرائه .

. . . .

قدمنا ان الادب العربى كان بحاجة ماسة الى طهاة مهرة يسهل عليهم طهيه كما هو بحاجة الى أدباء يحذقون اللغات الاوربية فينقلون الية أدب الغرب وبخاصة تلك الآداب الحديثة كالقصة ، والتحليل ، والبحث العلمى ، ومناهج الاستقراء لانه يكاد يخلو خلوا تاما من هذه الفنون . ولعل السبب فى ذلك ركود العرب السياسى مما أدى الى انحطاط الآداب .

وقادة الفكر أجمعوا على أن الامم الضعيفة المغلوبة على أمرها لا ينجوا أدبها من النكبة . نعم انه كان للعرب في الجاهلية وفي أبان سطوة الاسلام آداب فاقت الآداب المعاصره التي كانت تعيش في زمانهم ولكن هذه النهضة المباركة وقفت عندما شاهدت سوس الاضمحلال ينخر عظام الامم العربية ولمست مجاوزا الحق اذاقلت ان العرب لو لم يصيبهم ما أصابهم من التقهقر السياسي لكانت آدابهم في المقدمة كما كانت

كان من أثر هذا الضعف في الادب ان أخذ الزعماء الذين ذكرناهم يجاهدون جهاد الجبابرة و ينقلون للعربية ما ينقصها و بعضهم يتخذ من حياته ونفسه مرآة يعرضها للامة فترى الامة نفسها مصورة فيها وتنظر عيوبها وضعفها . وأعرض شعراء منهم عن تلك الالتزامات التي كانت معقلا لا يجوز للشاعر مفارقته وظفرت العربية بهذا الشعر الفلسفي . والشعر القصصي، وغير ذلك مما حبب جمهرة القراء في الادب فكان ان زاد عدد الكتاب ، وأصبح لكل منهم (اى الزعماء) مدرسته الخاصة التي تتأثر به وتنقل عنه مما جعل مصر تفوق الامم العربية وجعل تلك الامم تسلم القيادة الادبية لها . من هؤلاء من نتحدث عنه الآن

اسلوبه وشخصه . . .

ينفرد العقاد بين كتاب هذا الجيل باسلوبه الرصين الذي تحدثك

سطوره عن صاحبه ؛ وعندى ان الصحيفه التى يكتب فيها ليست بحاجة لكتابة اسمه مسمع المقال سواء كان فى الادب أو السياسة وذلك لان شخصيته الخاصة التى لم تتأثر بقديم أو حديث تنبه القارىء الى الكاتب ، والعقاد كما اشرنا يكتب فى السياسة بديمقراطية بالغة فيفهمه الشعب ولكنه فى الادب أحيانا يرتفع فى سماء الفن حتى يبتعد عن بعض القراء ، وأظن ان اكثر الذين يناوئون العقاد الاديب يرجع بغضهم له لانهم لم يستطيعوا ان يحذقوه وباقى الذين يودون النيل من مكانته لم يروا فيه عيبا فاحوا يرددون الاشاعات الباطلة عن كبره وصلفه ، والعقاد يعجب بقول ابو تمام « حين سئل لم لاتقول مايفهم؟ فأجاب ولم لا يفهم ما أقول ؟ » وهو قريب الشبه بفولتير وبخاصة فى تهكمه وسخريته فى فصوله السياسية ونقده للمائسين ، وكتابته هذه هى قضية فنتيجة فحكم كما قيل عنها وتلك لعمرى أصوب الكتابة السياسية وقد اشار هو الى طريقته فى النقد فقال « وخطتي فى المناقشة ان اعمد الى أقوى الحجج بداءه فاجتهد فى تقويضها ثم أقفو ها باضعف الحجج وقد اعود الى مافيه مساك من القوة وربما كانت فى هذه الخطه مفاجأه لا تخلو — كما شاهدت بالتجربة — من تأثيرها المحمود » وقد تكون هذه بعض خططه فى المناقشة السياسية اما العقاد الناقد الادبى فقد عهدناه يفرض استاذيته فرضا على المنقود ويملأ الدنيا شعاعا ونورا امام القارىء فيكمل ما غاب وما نقص عن الكاتب وما كان يجب

عليه وهذه طريقة حميدة في النقد ونافعة خصوصا مع أدباء الشباب .

وصف أحد المستشرقين « المازني » بأنه في النقد كالميزان يتدفق فيغرق من ينقده اما العقاد فهو كالبستاني الذي يشذب الاشجار وينسق الحديقة .

قرأت في كتابه « ساعات بين الكتب » بعض هذا النقد الحكيم في فصل من الكتاب نقد العقاد المغفور له « شاعر النيل » حافظ في قصيدته « البركان » مثل حافظ المنكوب في شخص فتاة جميلة والرجال يمدون ايديهم لانقاذها ومثله ايضا في شخص شيخ هرم والناس تتولى انقاذه ! أنظر للعقاد الناقد « الشاعر الانساني » يعيب على حافظ هذا التمثيل ويريد منه أن يضع مكان الفتاة حيوانا تنقذه الناس ليبرهن على ان الانسانية جديرة باسمها وعلي ان عاطفة الشفقة والمحبة والمساعدة والايثار تغلبت على عاطفة جمال الفتاة او شيخوخة الهرم وأمثال هذا النقد كثيرة في كتبه

وأظن ان من دلائل عبقرية العقاد وآيات نبوغه انه يكتب هذا النقد وهو يحرر فصوله اليومية الرائعة

. . . .

ان الناظر المحقق الى حالة الادبي تروعه نواحي الضعف وأنات البكاء الفاشية في كثير من الكتب، ينظر الشاعر الى حالة الامة الاليمة ولكنه يخاف البطش . شيطان شعره يرغمه على القول وعلى تصوير

البيئة — يأخذ فى البكاء والعويل معبراً عن آلام أمته ولكنه يتوارى فلا تظهر وطنيته وأنما يختفى وراء « المرأة » غير ان العقاد على النقيض من ذلك فى اشعاره الوطنية تقرأ شعره فيخيل اليك ان الشاعر يعيش فى أمة قوية تنعم بحريتها وتتمتع بسيادتها وذلك لانه يرى أمته كما يود ان تكون وهذا اسمى ما يتجه اليه نظر فنان — عبقري — يرى بعينه كل ما لمع بذهنه من الامانى السامية والامال العالية

. . . .

قدمنا ان قارىء العقاد يخيل اليه انه يعيش فى أمة قوية ترفل فى حلل الحرية والاستقلال والسيادة فانت لا ترى فى كتابته أثرا للضعف يؤدى رسالته الادبية فينقل عن الادب الغربى روائعه فى الموسيقى والشعر والتصوير ويذكر أمته بماضى الاجداد ويعتز بنفسه اعتزازا قويا . وقد هاله أمر الذين يتسترون فى الحب ليبكوا فأخذ عليهم الطريق وأسقط حجتهم وسفه رأيهم معللا انهم اذا كانوا يبكون لترضى المرأة فالمرأة لا تحب فى الرجل الا القوة والصلابة واذا كانوا يولولون لانها لا تحبهم فغير للرجل واشرف ان يبتعد عن التى تبغضه منطق سليم؟ وحجة بالغة

« كتابة التراجم »

يحتاج هذا الفن لمعرفة البحث العلمى والتعمق فى اساليبه والوقوف

على مناهج البحث والاستقراء النفسي ، والتحليل الشخصي ، و يستلزم المراجعات والمقابلات وأظن انه لم ينبغ في ذلك الفن ألا أفراد قلائل وأنا لم أقرأ من هذا النوع الا بضعة كتب اعجبتني ونفعني وخرجت منها عالما كل العلم ومستقصيا لاحوال الذين كتبت عنهم أخص بالذكر من هذه الكتب ذكرى ابي العلاء للدكتور طه حسين وجان جاك رسو للدكتور هيكل وحيتي وابن الرومي للعقاد واما توفيق العقاد في هذا الفن يرجع أولا لمشاعره الدقيقة التي تتفق ومشاعر من يصورهم وفوق اتحاد المشاعر فهناك مطالعاته الكثيرة واستيعابه لكتبهم والوقوف على أحوال عصورهم

« ابن الرومي »

يحتوي هذا الكتاب على ستة فصول ، الفصل الاول في العصر الذي يعيش فيه والثاني في أخباره ، والثالث في حياته ونشأته ، والرابع في عبقريته ، والخامس في فلسفته ، والسادس في صناعته ، ثم مختارات من شعره وخاتمة وافيه .

وقد قال العقاد في مقدمة هذا الكتاب الفريد ، « أحرى بها ان تسمى صورة خير من أن تكون قصة لان ترجمته لا تخرج لنا قصة نادرة بين الواقع والخيال ولكنا اذا نظرنا الى ديوانه وجدناه مرآة صادقة وتلك مزية يستحق من أجلها ان يكتب فيها كتاب ، »

وهذا الكتاب دراسه وافية عميقة لعصر من عصور العرب

الزاهرة ولا أبالغ ان قلت ان كثيرا من الناس كانوا يجهلون اشياء عديدة عن هذا الشاعر ولم يسبق لنا ان شهدنا أحدا يتصدى لدراسة ابن الرومى اذا استثنينا المقالات المتناثره التى دبجتها يراعه « المازنى »

« جيـــتى »

وهذا كتاب أخر لا عن شخصية عربية وأنما عن شاعر الالمان العظيم « جيتى » هذا الكتاب على صغر حجمه الذى لا يضيق جيبك الصغير بحمله لا يدعك تنتهى من قراءته الا وأنت ملم كل الالمام بشاعر الالمان ، وتكون قد أخذت صورة واضحة الاجزاء عن هذا الفيلسوف .

لخص العقاد فى هذا الكتاب كل ما كتبه جيتى من قصص رائعة وكتب قيمه ثم حلل لنا نفسية الشاعر تحليلا كاملا وحدثنا عنه حديثا طويلا ، فاشار الى نظرته للحياة وأرائه الفلسفية وشتى العلوم التي حذقها والمؤثرات التى أملت عليه قصصه ولم يفته ان يحدثنا عن النهضة الادبية فى المانيا وتطورها ، وختم هـذا الكتاب باشاره الى التقدير الذى كان من نصيب جيتى ؛ ومما يدل على أن العقاد فنان لا تغريه الزخرفة الباطلة وانه ينظر الى بواطن الامور والى الاشياء التى تستحق التقدير ويزنها بميزان الفن الخالص انه لم يعجبه مدح نابليون لجيتي حين قال لرجاله « ها كم رجلا » وفضل على هذا المدح كلمة الناقد « هينى » ومما قاله في هذا الصدد ، ان كلمة من هينى

لترجح بكل ما يقوله نابليون وكل ما تقوله الخفلات

ترفع العقاد

هل العقاد متكبر ؟ كلا .. اللهم لا اذا عددنا الترفع عن الغقائص، وصيانة الكرامة، والبعد عن الدنيه، والدفاع عن الحق كبرا الواقع انه ليس من الغطرسة في كثير ولا قليل وأنما هو ينظر الى كثير من الادباء والكتاب فيجدهم يتأثرون ببعض الاساليب ويتمسكون بما ليس من الادب فى شيء، ويسطون على النابغين ويرمونهم بعيوب الظهور، ويولعون بالطنطنة الكاذبة، ثم يجد نفسه معصوما من هذه الادواء. ويقلب نظره فى اكثر كتاب السياسة فيرى هذا يمدح من لا يستحق المدح، والثانى مراء دنيء، والثالث يعرف الحق ويناضله محاولا نصرة الباطل من أجل مصلحته المادية. يرى هذا الكاتب ينقلب في الاحزاب والصحف والمبادىء، يرتدى كل يوم ثوبا جديدا معرضا قلمه فى السوق لمن يدفع الثمن، ويرى صنوفا أخرى يرعبها العقاب فلا تؤدى رسالتها على الوجه الاكمل وأنما تحاور وتماري وتمتدل في اسلوبها حتى لا يطالها العذاب أو المسئولية. يجد كل هذا وغيره وينظر الى نفسه فيجدها بعيدة كل البعد عن هذه العيوب ويرى قلمه شريفا لم يدنسه رجس فهو لم يمدح امرأ فخره جاه أو سلطان ولم يذم مذموما الا لأنه يستحق الذم

« العقاد الشاعر »

نقسم شعر العقاد الى قسمين. الاول شعره العالمي الذي هو فيه الفنان الذي لا يعرف وطنا، فالعالم كله وطنه، والانسانية جمعاء أمته ورسالة الفن الصحيح تلح عليه ان يؤديها

في هذا القسم يروقك التجديد، والتبويب، والابتكار، فهذه قصيدة جمعت بين الحبكة القصصية والشعر الفلسفي؛ وغيرها يحدثك فيها عن أبطال العالم القديم، وتالثه عن الشجاعة والحلم، والكرم والدناءة، والبغض والجبن، وغير ذلك. وهنا أحب ان اذكر رأى الدكتور طه حسين وهو أنه لم يعجبه بعد المعرى والمتنبي، الا شعر العقاد وقد قطع الدكتور في حفلة تكريم شاعرنا بان شاعرية العقاد أحسن شاعرية شاهدها بين شعراء الجيل، وأيضا كلمة الاستاذ « المازني » في مقدمة ديوان العقاد فهو يقرر انه — لو لم يقرأ العقاد لبداله تعبير الحياة ناقصا من بعض وجوهه

أما القسم الثاني الخاص بالوطنية والقومية فانا أصرح أنني لم أقرأ شعرا يصور أمال الوطن ويعبر عنها أحسن من شعر العقاد وكفاه فخرا انه وفق لوضع النشيد القومي الذي أصبح شعار المصريين جميعا، وتوفيق العقاد في الشعر الوطني يرجع أولا لمصريته الصميمة الخالصة ووطنيته الصادقة الملتهبة وروحه السامية

الحديث عن القسم الاول :—

اذا أردنا ان نتحدث عن تأثر الشعراء بالنقـــاد فامامنا مئات الكتب الحديثة التي تثبت قولنا والتي تبرهن على ان الشعر النقادي بفلسفته وتصويره وآدابه هو المورد الخصب لجمع عظيم من الشعراء

وسنتحدث الآن عن قيمة الشعر النقادي وعن الابتكارات والتجـــديدات فيه وعن نصيبه في الأثر المحمود الذي خلفه للادب العربي، واليك قصيدة قد جمعت بين الاسلوب القصصي والفلسفة العميقة وهي « المعري وأبنه » كلنا يعلم ان ابا العلاء مات ولم ينجب ابناء وهو القائل :—

واذا اردتم بالبنـين كرامة فالزموا أجمع تركهم في الاظهر

« المعري وأبنه »

الابن: يا أبي طال في الزمان قعودي فمتى أنت مخرجي للوجود
أرني يا أبي الجهر والخفاء اي شيء ذاك المسمى شقاء ؟
اي سر يراد بالمولود
ما الوجوه الحسان ؟ ما النوار؟ ما الدراري؟ ما الفلا ؟ ما البحار
ان دأب الوليد حب الجديد

الاب؟ ولدي ! أنني ابوك الرحيم انا بالعيش يا بني عليم
لا تصدق مقالة من بعيد
ما حياة تشقى وتسعد فيها تتمنى ولكن بما يعقبهـــا
في عظيم تبلى به او زهيد

يحسب الحر جهده لهواه جهل الحر جهده لسواه

أنما المرء آلة للجدود

قف بباب الحياة لا تدخلنها واعتصم يا بني ما استطعت منها

سوف القاك فانتظر بالوصيد

الا تسلم معى بان هذا التجديد والابتكار من أمتع وأنفع الابتكارات للادب العربى الحديث

درس العقاد ميول العصرى وحذق آراءه وأخذ يصوغ ذلك شعرا كانت الآداب العربية فقيرة اليه

وعندى ان أبا العلاء لو أحب ان يسطر ميوله شعرا، مافاق العقاد في هذا الوصف

• • • •

« ان من اراد ان يحصر الشعر فى تعريف محدود لكن يريد ان يحصر الحياة نفسها فى تعريف محدود »

هذا هو رأى العقاد فى الذين يقولون بحصر الشعر وتحديده وهذا سر تمرده على العبودية والاوضاع، وثورته على الالتزامات ولكنه فى ذلك التمرد كان على بصيرة وهدى لا كمن يثورون على القديم وهم ابعد الناس عن التجديد، واضعفهم فى فى الابتكار، والقدرة على معالجة التجديد؛ تحدى العقاد الرجعية ونظم قصيدته ؛ « الغزل الفلسفي » فى كتابه « وحى الاربعين » واليك قصيدة من هذا الكتاب تستحق

ان تكون وحدها فنا من الغزل قائم بذاته وفلسفته .

أبدع العقاد فى تصويرها ما شاء الابداع ؛ وصاغها فى ثوب قصصي تتيه به المكتبة العربية قال : —

تبارت شفاه حبابها الا ... له بشتى المزايا وشتى النحل
لاى الشفاة تجيب السماء ... واى الشفاة هنالك الاول ؟
فنادى جبابرة العالم ... بين نداء المدل بأمر جلل
لنا وحدنا صولجان الملا ... ومنا الرجاء ومنا الوجل
اذا ما نطقنا توالت خطو ... ب وصالت شعوب ودالت دول
ومن همسة تنجلى فتنة ... وفى مثلها يتدانى الاجل

هؤلاء هم الجبابره اصحاب الصولجان عند الشاعر وهذا اسلوبهم فى الخطاب ، اما العباقره .

ونادى العباقره الملهمو ... ن صحاح المعانى فصاح الجمل
لنا وحدنا جائزات الثنا ... ة اذا اختلفت سبلها فى الجدل
فمنا الجمال ، ومنا الهدى ... ومنا العزاء ، ومنا الجزل
و بالنطق يكتمل الادم ... ى وفينا تكامل حتى اكتمل

عرفنا تشبيه الشاعر للجبابرة وتصويره للعباقرة و بقى علينا ان نتمشي معه أو بالاصح مع الشاعر « القاص » الذي يعرض أبطال قصصه فى لباقه وحذق . يقول : —

أقبل سرب الظباء الملا ... ح رخيم البغام مليح الكحل

فقال وفي قوله لثغة ... كأنك ترشف منها العسل
لـ القول فيكم رجال الكلا ... م لنا القول فيكم رجال العمل
لمسنا شفاها ففاضت سنى ... وجرنا على جائر فاعتدل
ومنا تزوقون طعم الحيا ... ة وهل طعمها غير طعم القبل
تسمونها قبلة واسمها ... رحيق الخلود وريا الأمل
فاطرق رجعهم لحظة ... ونادي بأقربهم فامتثل
وقبل ميسمه قبلة ... تضرم منها مكان الخجل

وقال : —

أجل تلك أغلى الشفا ... ه فاصغوا جميعا وقالوا : أجل

وتسدل الستار ونسمع الشاعر يبدي رأيه في القبلة متغزلا في الشفاه

بذا حكموا بعد طول المطا ... ل فليسمعوا رأي المرتجل
اذا التمسوا مثلا للشفا ... ه قلت لهم شفتاك المثل
لثمت الحياة لميعتها ... وعاودت بعد السلو الغزل

. . . .

ولعقاد رأى في الشعر منه انه يعمق الحياة و يجعل الساعة من العمر ساعات يقول « عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت كل ما في وسع الانسان ان يعيش »

وشاعرنا شاعر بطبيعته ولليكون فنانا تلمس عبقريته ولا يبعد

عليك ان تحيل نثره شعراً منظوماً لانه صادر عن نفس شاعره وموهبة فطرية

قال وهو طفل شعر طفلي جميل . منه

علم الحساب له مزايا جمة ... و به يزيد المرء في العرفان

وكذلك الجغرافيا تهدي الفتى ... لمسالك البلدان والوديان

وتعلم القرآن واذكر ربه ... فالعلم كل العلم في القرآن

. . . .

يعرض عليك في هذه القصيدة ما يختلج بصدره وما يفكر فيه عقله من مختلف الفنون التي يتلقاها في المدرسة

ثم تدرج هذه الشاعرية الطفلة وتنمو بنماء صاحبها وتنضج بنضوجه فاذا به وهو في الثامنة عشره من عمره يحدثنا عن السعادة التي اعيت العالمين فاذا به الشاعر الفيلسوف . يقول

مه يا سعادة مني ... فما انا من رجالك

لا تطمعي اليوم مني ... في السعي خلف خيالك

فقد سألتك حتى ... ملت طول سؤالك

وقد جهلتك لما ... سحرتني بجمالك

ان الحبيب بغيض ... اذا استمر بخالك

فلا ترى بمالي ... ولا امر ببالك

اشقى الانام اسير ... معلق بجمالك

ثم تزدهر فنونه وتكتمل له ادوات الفن فأذا به الشاعر العظيم والعبقري الحكيم . فيقول

اذا صاحت الاطماع فاصبر فأنها تنام اذا طال الصباح على النهم
وقهر الفتي آلامه فيه لذة وفي طاعة اللذات شيء من الالم

. . . .

وللعقاد خمريات تزري بخمريات صاحب الرباعيات منها .

ردى حياتك فيها فان حييت حينا
نعم وعشنا سنينا في ساعة من زمان

. . . .

وابعدي الارض عنا وقربي الخلد منا
قد كنت فيه وكنا فنحن نبتا مكان

. . . .

هات اسقني يانديم ان الرجاء عقيم
داء الحياة قديم معى على الامكان

الى هنا ينتهي بي المطاف عما سميته القسم الاول ، ارأيت ان كاتبنا قد جمع بين النثر والشعر واصاب في النقد والترجمة واجاد في الوصف والتصوير ، وصدق في الحس والشعور والتعبير ، وهلى توافقني على انه اذا كان لفرنسا ان تفخر بمورو المؤرخ وهو حوالشاعر وغيرهما القاص وغيرهم الناقد وعلي انه اذا حق لالمانيا ان تتيه بالمؤرخ لودفيج

والشاعر حيتي فان لنا ان نباهي ونفتخر بان منا رجلا انجبته مصر جمع بين كل هذه الفنون وانه على رغم ذلك من العصاميين لم يتخرج من مدرسة، ولم يحمل شهادة جامعة، بل هو ابن نفسه ونشاطه ، اليس لنا ان نوارى عيوبنا فى الاختراع والاكتشاف وان نقول هاهى ذى مصر قد اهدت للعالم الرجل الذى يقول فيه الفيلسوف الانجليزى العظيم « سبنسر » « ان العالم بحاجة الى شاعر اكثر منه حاجة الى مخترع أو مكتشف » اليس لنا حق الفخر وكاتبنا قد جمع بجانب هذا وطنية خالصة سيكون الكلام عنها موضوع الفصل المقبل

« العقاد شاعر الوطنية »

من الشعراء من اذا تحدث عن الشباب تكلف الرفق بهم ولكن العقاد يأبى الا ان ينظر اليهم كابطال ولما كان حديثنا هذا الى الشباب فاظن ان من الخير ان اشير الى قصيدة قالها بمناسبة حادثة القطار المشهورة بايطاليا التي كان من نتائجها فقد بعض شبابنا الطلبة

لاتجد بهذه القصيدة اثرا للتهويل والعويل كما الفنا من بعض الشعراء فى هذه المناسبات وانما نسمع اهابة للشبان وتذكيرا لهم بخطرهم وهل من الشعر ما يشحذ عزيمة الشباب احسن من

لايفدح الخطب البنين فانما ... للفادحات عزائم الشبان
ان الشباب على الضحية قادر ... وكذا العطية والغنى صنوان

ثم يمضي في تصوير اثر الشباب ويدعوه الى التمسك بالفضيلة مبينا له خطرها

فخر الخليقة ان ابر فان غوى ... فاحط منزلة من الديدان

وهنا أملت الوطنية على شاعرها ان يقدر الشباب وان يربط مصير الوطن بيديه

ابناء مصر وفي يديكم حظها ... اما الى الحسني او الخسران

خطوا لكم حرما يعز جنابه ... لا يستذل عزيزه لجبان

. . . .

صوت الشعب من صوت الله ، كانا نعلم ذلك ولكن هل انشدنا شاعر اوهل سمعنا ان شاعرا تغلغت الوطنية في اعماق قلبه فنطق بلسان الشعب وقال كما قال العقاد

ما يبتغ الشعب لا يدفعه مقتدر ... من الطغاة ولا يمنعه مغتصب

فاطلب نصيبك شعب النيل واسم له ... وانظر بعينيك ماذا يفعل الأدب

ما بين ان تطلبوا المجد المضل كم ... وان تنالوه الا العزم والطلب

. . . .

وبمناسبة عودة المغفور له سعد زغلول سنة ١٩٢٣ من منفاه يقول العقاد بلسان مصر

مصر التي غضبت مصر التي رضيت ... مصر التي ترتقي . مصر التي تثب

مصر التي في هواها الشمل مجتمع ... مصر التي في علاها السعي منشعب

فمن دعاها على الحالين مطرح ومن جفاها على الحالين مرتقب

هل يستطيع شاعر ان يصور مصر كما صورها العقاد وكما املت « مصرية » العقاد وشاعرنا يعلم ان مصر على حق فى مطلبها و يعتقد و يؤمن انها ستنال هذا الحق وكم اود ان نكون جميعا كالعقاد في امله وايمانه قال .

وستستقل فلا تقولوا انها صعد الهوان بها فلا استقلالا

وايمان العقاد الراسخ ؛ وانتصاره للقومية ، واخلاصه للزعامة ، كل ذلك يوحى اليه ان يتحدث عن زعامة سعد و يقارن بينها و بين الزعامات الاخرى مبينا قوام كل زعامة قال على لسان « سعد »

صال بالجيش « كمال » ومضى بذوى القضبان يسطو موسولين

وانا الامة والجيش معا وانا السيف جميعا واليمين

والعقاد المؤمن المخلص هو العقاد الجبار الذى لا تنال منه الحوادث ولا يتقلب لتقلبها فمبدؤه هو

عدائى وصحبى لا اختلاف عليهمو سيعهدنى كل كما كان يعهد

هذه هى الرجولة الكاملة وهذا هو المثل الاعلى فى الثبات والتضحية . وهو دائم المفاخرة باجداده لا تمر فرصة حتى يذكر ابناء وطنه ماضيهم وما كان لهم من عز وسلطان يجب ان يستمد الاحفاد من هذا الماضي المجيد نورا يضيء لهم الطريق الى المجد قال عن هيكل « ادفو » .

ملك الفراعنة الحماة وخلفوا الملك اعلاما بمصر طوالا
وخلا الا كاسرة البغاة كأنهم عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه مصر . يزيد شبابها اقبالا
تتقوض الاركان وهى كدأبها من عهد نوح تربة ورجالا
عهد على الله القدير وذمة ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا قسط اليقين معارفا وخصالا
انا لنرجوها ونوقن انه ما كان يوما لا يكون محالا
وستستقل فلا تقولوا انها صعد الهوان بها فلا استقلالا

هذه القصة تمزج الماضى بالحاضر والمستقبل فبينما الشاعر يذكرنا بمصر الخالدة ويصور الامم البائدة وهى هى لا تنال فيها الاحداث اذ به يدعونا الى تجنب القنوط والايمان بان ما كان يوما لا يكون محالا

وحسبى هذه الالمامة بشعر العقاد الوطنى الذى يعبر عن آمال الوطن وامانيه ، ولا سيما نشيده الخالد

قد رفعنا العلم للعلى والفدا
في ضمان السما

الى هنا انتهى بى المطاف فى ذلك الوادى العقادى الفسيح الارجاء ولا ادري متى يسعدنى التوفيق فاغوص مرة اخرى فى هذا البحر الزاخر . . .